إشكالية العودة للحرب

السبت 25 يوليو 2026 11:00 م

كتب: منير شفيق

منير شفيق
مفكر عربي إسلامي وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

وقع اتفاق وقف إطلاق النار، بعد سنتين على الحرب البريّة، وحرب الإبادة البشرية، اللتين شنهما الجيش الصهيوني في غزة. وقد اتسّمت حربه البريّة، بالفشل في احتلال غزة، وبانتصار عسكري للمقاومة، من حيث صمودها، وانتقالها إلى الهجوم والمبادرة، في كل الاشتباكات الصفرية. وانقلبت حرب الإبادة، إلى دمار شبه شامل، لسمعة الكيان الصهيوني، على مستوى عالمي، ولا سيما في أمريكا والغرب، وحتى في أوساط واسعة، من الشباب اليهودي فيهما.

وصلت التظاهرات المؤيّدة للقضية الفلسطينية، والمتعاطفة مع الشعب والمقاومة في غزة، لتصبح ظاهرة عالمية، أخذت تصل إلى مئات الألوف في المدن الأمريكية والأوروبية، ووصلت في اليابان، مثلًا، إلى تعداد بلغ سبعة ملايين.

ضمن هذه المعادلة، وصل ترامب الذي دعم نتنياهو، عسكريًا وسياسيًا، إلى عزلة عالمية، وإلى أزمة داخلية. وإلى ما يشبه اليأس من إمكان احتلال غزة، والحسم العسكري، من جانب جيش نتنياهو.

وقد راح دعم ترامب لنتنياهو، يلحق بسمعته وسمعة أمريكا، خسائر فادحة. هذا إلى جانب تفاقم مجموعة من العوامل الضاغطة، ضد حرب الإبادة.

هنا قرّر ترامب أن يتدخل، ويطرح مشروعًا لوقف الحرب. وعُرِف بعنوان مبادرة ترامب. وقد وصلت بنودها إلى العشرين بندًا. وكان ذلك مدعاة، لتشجيع تدخل وساطات عربية وإسلامية، ودولية، بين ترامب والمقاومة في غزة.

انتهت محصلة هذه المعادلة، بعد جهود شاقة، وأيام متطاولة، إلى إعلان اتفاق لوقف إطلاق النار. وذلك بعد ممارسة ضغوط هائلة على حماس، للموافقة على المبادرة، وبتحفظ، طبعًا على عدد من بنود مبادرة ترامب. وقد اعتمدت تلك الضغوط، بمعظمها على الحجّة الإنسانية والنفسية، بالقول: إن الأولوية هي لوقف حرب الإبادة، التي يتعرض لها المدنيون الغزيون.

طبعًا في الحروب، وكيفية إنهائها، لا مجال لإعطاء الأولوية، لإنقاذ المدنيين، على حساب، ما سيترتب على وقف إطلاق النار، من نتائج لها علاقة، بالأهداف والمبادئ، وما سيشكل من موازين قوى.

عندما أعلن وقف إطلاق النار، وبدأ العمل لتنفيذه، بما في ذلك، شرطه الأول، إنقاذ المدنيين وإدخال المساعدات، كما تبادل الأسرى، ذهب ترامب، ليحتفل في شرم الشيخ، بخروجه من الحالة، التي وصل إليها، قبل الاتفاق.

أما نتنياهو، فراح يتحكم، كالسابق في عدم وصول المساعدات. وراح يتحكم، بشروط تبادل الأسرى. وكانت موافقته على إطلاق النار، وهمية ومؤقتة، بل سرعان ما عاد إلى إطلاق النار، والاغتيالات وقصف لمدنيين، والقضم والاحتلال.

ومن ثم أصبحت الصورة، التزامًا للمقاومة بوقف إطلاق النار، وبتنفيذ المرحلة الأولى. ولم يعد لترامب ومساعديه، غير تغطية نتنياهو، بما راح يخالف شرط وقف إطلاق النار، وصولًا إلى كامل التجربة، التي عاشتها المقاومة، وعاشها المدنيون منذ إعلان وقف إطلاق إلنار إلى اليوم.

هـا هنـا، يجـب تحميـل مسؤوليـة هـذه النتائـج، على الفصائـل الفلسـطينية، الـتي اعتـبرت الأولويـة، لوقـف إطلاق النـار، حرصًـا على دمـاء المـدنيين. وبـالغت في جعل الأولويـة، لهـذا البُعـد من أبعـاد الحرب. وراحت تضغـط على غزة، باسـتبعاد خيـار العودة للحرب، الـذي لعب دورًا أساسيًا في الوصول إلى ما وصله، الوضع الآن.

لقـد أثبتت تجربـة الاتفـاق على وقف إطلاق النـار، أن الخطـأ ليس في مبـدأ وقف إطلاق النار، وإنما الخطأ يبـدأ في عـدم السـماح لنتنياهو، ومن ورائه ترامب، أن يكون اتفـاق وقف إطلاق النـار، من جـانب واحـد. فمنـذ اللحظـة الأولى، يجب أن يردّ بالمثل، على كل مخالفـة من قِبَل نتنيـاهو، من جهـة. أمـا من الجهـة الأخرى، فكـل خـوف من عـودة، إلى حرب، وكنت فيهـا متعادلًا ، أو قـادرًا على اسـتمرارها، يـؤدي إلى ما وصله، الوضع في غزة، حتى الآن. علمًا أن ميزان القوى، كان ولم يزل، يسمح بالعودة للحرب، وبإعادة كل من ترامب ونتنياهو، إلى عزلتهما ومأزقهما. ولا تنسوا أن التعاطف العالمي، يتصاعد في الحرب، ويخبو إذا أصبحت وحدك، ملتزمًا في "سلمٍ" كذاب.

وبكلمة، عودة الحراك العالمي جاهز، ولم يتغيّر.